أعْـرَاسُ أصِيلَـة

عَــرَائِسُ الشِعْــرِ نَشْــوَى فِي مَغَــانِينَــا
قَــدْ عَــانَقتهَــا وَفِــي شَــوْقٍ نَــوَادِينَــا
زَهَتْ أصِيـلاَ وَطَــابَ المُنْتَـدَى وَشَـدَتْ
بَــلاَبِـلُ الشِعْــرِ مَــايُنْسِـي المُغَنِينَــا
وَفَتّحَت قَلْبَهَــــا لِلَعَــــاشِقِينَ فَمَــــا
رَأيْتُ قَلْبــــاً وَعَـىٰ كُلِّ المُحِبِينَــــا !
تَكَــادُ تَحْكِي شَــــوَاطِيهَــا مَــلاَحِمَنَــا
وَمَــا تَكَبّــدَهُ فِيهَــا أعَــادِينَــا
حَجّتْ إلَيْهَــا وُفُــودَ الشِعْـرِ حَــامِلَــةً
بَــاقَــاتِ حُبٍ قَطَفْنَــاهَــا بِأيْــدِينَــا
عَــادَتْ إلَيْهَــا عُكَــاظٌ فِي تَألُقِهَــا
وَجَلْجَلَتْ فِــي نَــوَادِيهَــا قَــوَافِينَــا
وَفِي بِــلاَدِي رُؤىً شِعْـرِيَّــةٌ صَــدَحَت
بِهَــا مَعَ البُلْبُلِ الشّــادِي مَثَــانِينَــا
بَحْــرٌ وَشِعْــرٌ وَأعْــرَاسٌ بِمَــوْسِمِنَــا
وَفِتْنَــةٌ مَنْ رَآهَــا عَــاشَ مَفْتُــونَــا !
جُنِنْتُ مِنْهَــا وَمَنْ شَــامُــوا مَغَــانِيهَــا
وَحُسْنَهَــا لَـمْ يُــرْوا إلاَّ مَجَــانِينَــا !

وَنَحْنُ صَــرْعَى المَعَــانِي لاَغِــذَاءَ لَنَــا
إنْ لَمْ نَجِــدْ حَــوْلَنَــا فَنــاً يُغَــذِينَــا
وَمِحْنَــةُ الشِعْــرِ فِي دُنْيَــاهُ كَــارِثَــةٌ
فِي عَــالَــمَ أفْسَــدُوا فِيــهِ المَــوَازِينَــا
وَغَــاصَتْ الــرُّوحُ فِي الأوْحَــالِ وَانْطَفَأتْ
مَسَــارِجٌ طَــالَمَــا جَلّت دَيَــاجِينَــا
أضْحَتْ بَــلاَبِلــهُ خَــرْسَــاءَ مُعْجَمَــةً
كَأنَّهَــا لَمْ تَكُنْ يَــوْمــاً تُنَــاغِينَــا
بِــالأمْسِ كَــانُــوا إذَا أنْشَــدتَهُم رَقَصُــوا
وَاليَــوْمَ قَــدْ أصْبَحُوا بِــالــرّقْصِ لاَهِينَــا !

* ● *

يَــاشَــادِيَ الشِعْــرِ غَــرِد فِي خَمَــائِلِــهِ
وَلاَ يَضُــرَّكَ إنْ لَــمْ تَلْقَ صَــاغِينَــا
وَنُح عَلَى المَجْــدِ أطْــلاَلاً سَتَسْمَعُــهُ
حَتْمــاً، وَإنْ عَاشَ مَهْضُــومــاً وَمَغْبُونــاً !
وَيَــارِفَــاقِي خَلّــوا النّــايَ مُــرْتَعشــاً
يَشْــدُو وَلَــوْ أجْدَبَت دُنْيَــا المُجِيــدِينَــا
فَــالشِعْــرُ فَنٌ وَمِــرْآةٌ لأنْفُسِنَــا
وَمِنْبَــرٌ لَيْسَ يَــرْقَــاهُ المُــراؤُنَــا

رَكِبْتُ زَوْرَقَـــهُ وَالعُمْـــرُ مُـــؤتَلِقٌ
وَاقْتَـــدتُ جَـــامحـــهُ وَاقْتَـــادَنِي حِينَـــا
قَـدْ فَجّـــرَ العُـرْبُ أحْـــزَانِي فَصُغْتُ لَهُم
شِعْـــراً مِنِ القَلْبِ لاَيَبْكِيـــهِ بَـــاكُـونَـــا !
بَكَيْتُ بِـالشِعْـــر قَـوْمِي فِي مَسِيـــرَتِهم
فَمَـــــا أفَـــدْتُ وَلاَ أَلْفَيْتُ وَاعِينَـــــا
بُحَّتْ حَنَـــاجِـــرنَـــا فِـي كُلِّ فَـــاجِعَـــةٍ
وَلاَذَ بِـــالصّمْتِ مَنْ كَـانُـــوا يُنَـادُونَـــا !
لاَ كَـــــانَ إنْ لَـمْ يَكُنْ لِلْحَـقِّ دَاعِيَـــــةً
وَلَيْسَ بِـــالشِعْـــرِ مَـا يَنْسَـى مَـآسِينَـا
فَطَـــالَمَـــا هَـــزَّتِ الـدُّنْيَـــا مَقَـــاطِعُـــهُ
وَأرْهَبَتْ – وَهِيَ لاَتَخْشَـاهُ – صَهْيُونَـا !

* ● *

ذَكَـــرْتُ أيَّـــامَـــهُ الغَـــرَّاءَ مُـــورقَـــةً
وَدَوْلَـــةَ الشِعْـــرِ فِي بَغْـدَادِ هَـــارُونَـــا
بَـــلاَبِلُ الشِعْـــر تَشْـــدُو فِي مَنَـــابِـــرِهِ
جَـذْلَى وَتَنْسَـابُ فِي الـــدُّنْيَـا تَـلاَحِينَـا
وَلَيْـسَ لِلْفَـنّ وَالإبْـــــــدَاعِ فِـي وَطَـنٍ
غَـــــدٌ إذَا لَمْ يَكُنْ لِلْفَـنِّ رَاعُـــونَـــــا !

وَمِلْءُ عَيْنِـي هُنَـــا غُـــرٌ عَبَـــاقِـــرَةٌ
يَجْـرُونَ فِي الحَـــلْـبَةِ القُصْـوَى مُجَلِّينَـا
يَشْكُـــونَ مَـا نَشْتَكِي مِـنْ جُـرْحِ أمّتِنَـــا
وَمَـــا يُعَنِيهُمُـــو مِنْهَـــا يُعَنِينَـــا
فَيَـــارِفَـــاقِـيَ لاَمِيعَـــادَ يَجْمَعُنَـــا
إلاَّ لِقَـــاءٌ حَبِيبٌ فِـي فَلَسْطِينَـــا
هُنَـــاكَ يَشْـــدُو هَـزَارُ الشِعْـــر مَلْحَمَـــةً
تُحْيِي بُطُـــولَتُهَـــا أمْجَـــادَ حِطِينَـــا !
لَيْتَ الكَـــوَاكِـبَ تَـــدْنُـــو لِي فَـأنْظَمَهَـــا
مَشَـــاعِـراً عَـنْ قَـوَافِـي الشِعْـرِ تُغْنِينَـــا

*) ألقاها الشاعر بمناسبة تكريمه في مدينة أصيلا من طرف جمعية المعتمد بن عباد صيف 1987.